

تفسير ابن كثير

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْغُرُورِ

يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخر كما كان أولا . وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية - أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها ، كثيرها وقليلها ، كبيرها وصغيرها ، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة ، ولهذا قال : (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز الأوسي ، حدثنا علي بن أبي علي اللهي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : لما توفي النبي صلى الله عليه

وسلم وجاءت التعزية ، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم
أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة
(إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ،
فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . قال جعفر بن محمد : فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون من هذا
؟ هذا الخضر ، عليه السلام . وقوله : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) أي :
من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة ، فقد فاز كل الفوز . قال ابن أبي حاتم : حدثنا
أبي ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي
سلمة ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "
موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا إن شئتم : (فمن زحزح عن النار
وأدخل الجنة فقد فاز) . هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه
الزيادة ، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في
مستدرکه ، من حديث محمد بن عمرو هذا . ورواه ابن مردويه [أيضا] من وجه آخر

فقال :حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن يحيى ، أنبأنا حميد بن مسعدة ، أنبأنا عمرو بن علي ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها " . قال : ثم تلا هذه الآية : (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وتقدم عند قوله تعالى : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ما رواه الإمام أحمد ، عن وكيع عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة ، فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه " .وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغيرا لشأن الدنيا ، وتحقيرا لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة ، كما قال تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) [الأعلى : 16 ، 17] [وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) [الرعد : 26] وقال تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق [[النحل : 96] . وقال تعالى : (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى) [القصص : 60]

وفي الحديث : " والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم ،
فلينظر به ترجع إليه ؟ " . وقال قتادة في قوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) هي
متاع ، هي متاع ، متروكة ، أوشكت - والله الذي لا إله إلا هو - أن تضمحل عن أهلها ،
فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله .